جرة العسل

خاطت كوثر لنفسها تسعة وثلاثين ثوبا من ثياب العرس . كل منها أعدته في وقت من الاوقات لخطيب بعينه . أو لحبيب بالذات ولكن عرسا من هذه الاعراس لم يتحقق . ولا سار معها الى نهاية الشوط حبيب من أولئك الاحباب

أن شيئا ماكان يحدث دائما قبيل النهاية يحطم جرة العسل .

وعلى الرغم من أنها كانت كل مرة تحرص ماوسعها الجهد على ألا تدع الخيط يفلت من يدها . فان هذا الشيء المجهول كان يلاحقها على الدوام من حيث لاترى ولا تشعر . ويترك بين أناملها بقية منه تشبه عبرة الندم في أعقاب حلم سعيد .

* * *

لم تكن كوثر ينقصها الجمال

فقد كانت أينما ذهبت تجد صدى ابتساماتها الوديعة ونظراتها الحلوة . تلهب كالسوط عواطف الرجال .

وقد قضت في مراحل تعليمها الثانوي والفني اثني عشر عاما من شبابها الاخضر . أرقت فيها مئات من الاعين دون أن تدري . وأحرقت مئات من القلوب .

كلا ولا كانت تنقصها الاناقة ..

فقد كانت تقص بيدها أبسط ثوب وتلبسه فيصبح على بدنها الفارع أنموذجا يملأ العيون بالاعجاب .

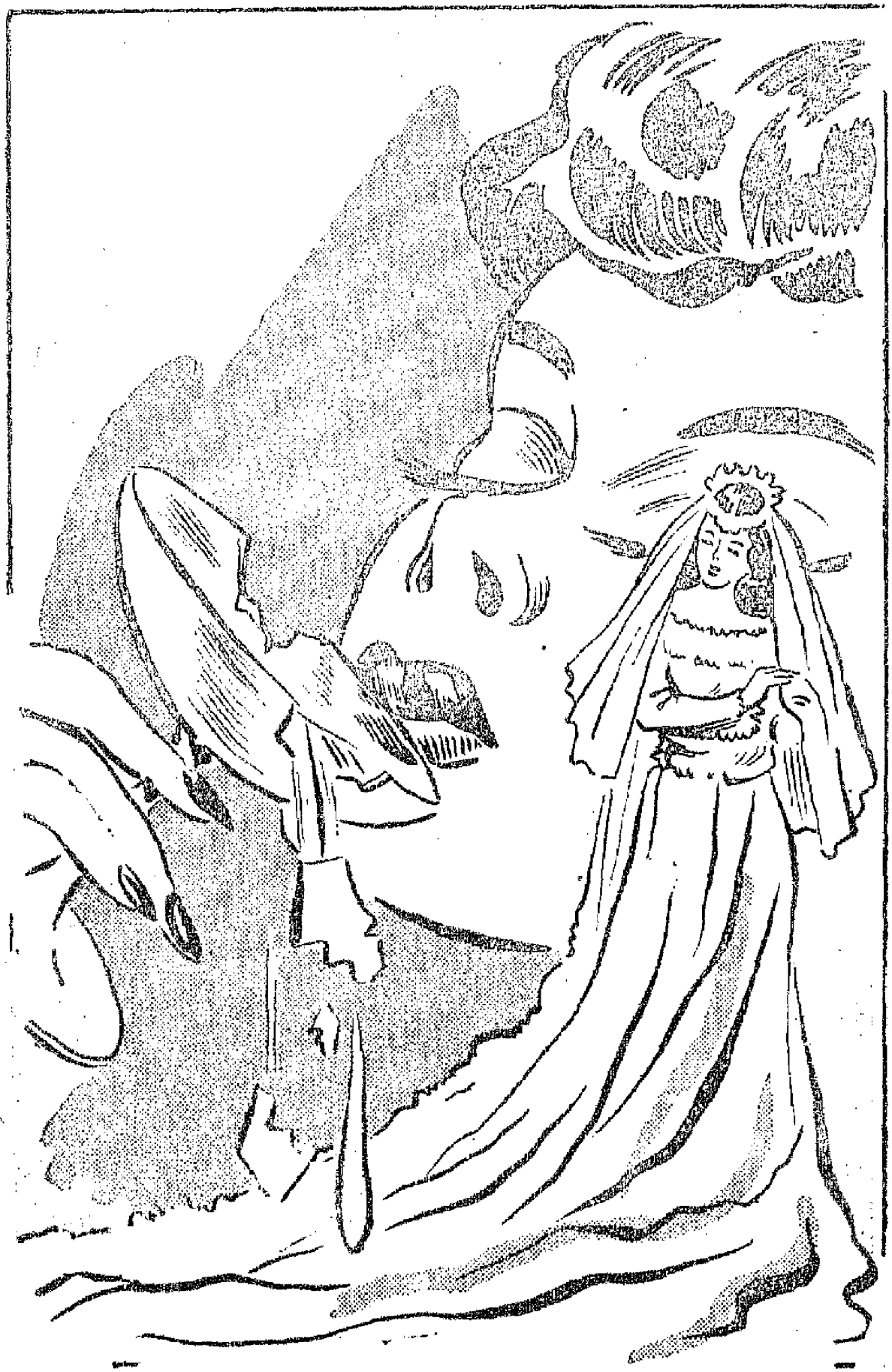

ويحطم الكاس أقرب مايكون فى شـــفاهها الظـامئة الى الـكاس الحـلال

ثم هي فوق ذلك سيدة بيت من الطراز الاول . تدخل غرفتها فتحس لاول وهلة أن يد امرأة قد مرت حتى على الصفائح فاضافت فيها الذوق والحياة . .

وقد كان قلبها مغلقا أمام الغيرة والحسد والحقد . . عاملت نعمة أحدا ممن حولها حتى أحست كأنها نعمة أصابتها . ولا أصاب أحدا ممن حولها مكروه حتى أحست كأنها شريكته فيه . . وكل سيئة تقدم لها مغفورة سلفا وكل هفوة يهفوها بلا قصد لا يبدأ لها بال حتى تشعر أنها كفرت عنها . ولقد عرف صواحبها منها هذا الخلق فأكبرنها من أجله . وأحببنها . وتكسرت أحقاد غيرتهن من جمالها على شاطئها الهادىء الرحيب .

وما من واحدة من صواحبها هؤلاء . أو لداتها أو زميلاتها فى العمل حيث كانت تشتغل معلمة فى احدى المدارس الاجنبية . الا وجدت نفسها أسيرة لفضل من أفضال كوثر . ان لم يكن فى زينتها . ففى معاشها ففى عملها تحمل عنها أعباءه كلما أحست حاجة للراحة أودعتها ضرورة للخروج .

وكم تسللت الى غرفة هذه أو تلك منهن تحمل بعض الزهور من طاقة أهديت اليها . أو شيئا من الحلوى طلبته بيديها . فما كانت تستطيب متعة قط لا يكون لها فيها شركاء .

أن تلاميذها أنفسهن وخدم المدرسة كن يعبدنها عبادة .

ومع الخدم بالذات كانت لا تعرف قيمة القرش فى يدها . فما استقضت خادما منهن شيئا الا وهبتها مثل ثمنه فان لم تستقضهن حاجة سخت عليهن بالمعونات والصدقات .

بهذه الروح السمحة شقت كوثر طريقها فى الحياة بلا تكلف ولا تصنع ولا انتظار لمقايضة أو جزاء . وبهذه الروح السمحة نفسها لم تجد غضاضة فى أن تتصدق بالنظرة وبالابتسامة كلما رأت العيون تتطلع اليها جائعة ظامئة محرومة . .

كانت وهى طالبة تحب القصص . ولا تمل قراءته . وكان أطيب مكان لقراءتها السرير . تستلقى عليه . ونوافذها مفتوحة . وأنظار الشبان من جيرانها تشرب من جسدها وتنتشى فلا تتحرك . الا لتحييهم بالنظرة الباسمة ثم تمضى سابحة فى الخيال الذى كانت مفرقة فيه .

وعندما اقتحمت أبواب الحياة لاقت خطابها وأحبابها بنفس الروح وبنفس الطيبة والجود . كل وعد بالزواج صادف هواها عدته زواجا قائما . وراحت تستعد للزفاف . وكل حب اشتركت فيه بذلت فيه للحبيب كل ثمرات عواطفها المشبوبة . وروحها السخية . وقلبها الخصب .

فاذا آن أوان القطاف فى النهاية . أتى ذلك الشىء المجهول . فاعترض طريقها بقسوة . ومزق حلمها المونق وحطم أمالها فى البيت المنشود ...

أن نار قلبها التى كانت تتأجج بسرعة . كانت تنطفىء بسرعة كذلك وما هى الا دموع تسكبها على صدر أمها حتى تشرق الابتسامة على شفتيها من جديد .

لقد كان رصيدها الغرامى أكبر من أن تستنفده خيانة حبيب ! .

وما أكثر ما كانت تصبح - بعد هدوء العاصفة - كالأخت لزوجات أحبابها القدماء . عندما يكن من معارفها . دون أن تستشعر ضغينة أو تنطوى على حقد . أو تحاول الوقوف مرة على الاطلال . .

* * *

ترى أى شىء كان . . ذلك الشىء المجهول ؟

ذلك الشىء الذى كان يكسر لها جرة العسل ! ويحطم الكأس أقرب ما تكون من شفتيها الظامئتين الى الكأس الحلال . . ؟ ؟

لقد تساءلت كثيرا ، واتهمت نفسها وتجنت على حظها الارعن ولكنها فى النهاية تعبت من التساؤل والتجنى والاتهام . .

ثم كان اليوم الذى بدأت تخيط فيه ثوب عرسها الاربعين .

أن الخطيب فى هذه المرة كان أضخم حلم سبح فى خيالها الشاعر .

كان كل شىء لها . .

وأيا كان هذا الشىء المجهول فسوف تدافع عن هواها هذا دفاع اللبوة عن شبلها الوليد .

لقد كانت موقنة أن الكأس ن تحطمت على شفتيها هذه المرة . فسيتحطم معها قلبها . وآمالها كلها فى الحياة .

أن ذكريات ماضيها العامر وصوره تضاءلت كلها وانزوت . . أمام صورة « وجدى » خطيبها الجديد . ومن اجله صممت ألا تضع غرزة فى ثوب عرسها . الا وعين عليه . والاخرى على ماحولها ومن حولها من الاشياء والكائنات .

نشأت كوثر فى بيت لارجل فيه . فقد مات أبوها وهى طفلة فى المهد . وكان من كبار موظفى الحكومة فكفلتها أمها من بعده بمعونة معاش طيب أجرته الحكومة على الأم والبنت حتى تتزوجا .

وكان فرق السن بينهما لايتجاوز الستة عشر ربيعا .

وكانت كوثر فى جوار أمها أشبه بالأخت منها بالبنت . وقد ربتها أمها على أن تدعوها باسمها المجرد . بل لقد سمحت لها أن تلقبها بالارملة المرحة دون أن تجد مرارة فى هذا التبسط .

وكانت البنت صورة أمها فى الجمال الفاتك وفى الروح السمحة المتلافة المولعة بأن تأخذ من الحياة وتعطيها بمنتهى اليسر والسخاء .

بيد أن كوثر لم تسأل نفسها يوما عن سر هذا البذخ الذى يحيط بها .

ان معاش أبيها ماكان بقادر ان يدفع مرتبات الخدم وحدهم فى البيت الأنيق الذى عاشتا فيه

لقد كانت تأخذ حياتها السهلة مأخذ القضية المألوفة ... شأن الطفل الساذج الذى كانته طول الحياة .

وبينما هى تضع الخطوط الاخيرة فى ثوب عرسها الاربعين . احتاجت لبعض ملحقاته فذهبت الى المحل التجارى الذى كانت تشترى منه كل حاجاتها على الحساب .

ولكن العامل المختص رفض فى هذه المرة أن يعطيها حاجتها نسيئة . وأبى الا أن يقبض الثمن . فشكته الى مدير المحل مذهولة . فأسلمها المدير بمنتهى الأدب واللطف رزمة من الفواتير باسم أمها واسمها . وقال لها أن « وجدى بك » رفض دفع الحساب .

وازدادت كوثر ذهولا على ذهول . .

وجدى ؟ . . وما شأن وجدى فى هذه الفواتير ؟

لقد ازدردت الصفعة على أى حال وقفلت راجعة الى البيت وساقاها لا تحملانها من فرط الأسى والذهول .

أن الستار الذى كان يحجب عن عينيها حقائق الحياة المرة بدأ يرتفع عن عينيها العمياء . . .

هذه الوجوه الغريبة التى كانت تتجدد بين الحين والحين فى بيتها . وتملأ يديها بالهدايا ، وتطبع على جبينها القبلات . . .

هؤلاء الاحباب والخطاب الذين كانوا يتهادون اليها من كل فج وما هى الا اسابيع حتى يذوب كل منهم بين أصابعها كقطعة من الثلج ، دون أن تقدم له اساءة أو تضن عليه بمراد . . .

هؤلاء جميعا كانوا اذن . . . دافعى فواتير ! !

أن الارملة المرحة قد اتجرت بجمالها هى حتى اذا أوشك نجمه على الافول دفعت بابنتها الى السوق . .

لقد كانت كوثر مستعدة أن تدافع عن غرامها دفاع اللبؤة عن شبلها الوليد ولكنها وجدت نفسها أمام أمها التعسة بلا مخالب ولا أنياب . .

ثم أن الانتقام لن يرد لها أنساء العسل المحطوم . .

وفوق ذلك فان الانتقام لم يكن شيئا فى طبيعتها على الاطلاق فذهبت الى غرفتها ، وارتدت ثوب العرس . وبكت ماشاء الله أن تبكى . ثم ألقت بنفسها من النافذة الى الطريق . .

شركة المصنوعات المصرية

مؤسسة بنك مصر الكبرى

المركز الرئيسي: ٢ شارع فؤاد الاول - بالقاهرة
وفروعها: بالقاهرة وجميع عواصم ومدن القطر

تعرض دائما

أجود البضائع

ذات الذوق الرفيع .. باقل الاسعار